مناهج البحث العلمي

تعدُّ مناهج البحث العلمي إحدى الأدوات التي يُمكن عن طريقها الحصول على معلومات دقيقة، وبشكل مُتكامل في قضية أو مشكلة مُعيَّنة، والغرض من ذلك هو حل تلك المشكلة من خلال التطرُّق لجميع العوامل المُحيطة بها، سواء الداخلية، أو الخارجية، عن طريق اللجوء إلى الأساليب العلمية الحديثة؛ من أجل الحصول على المعلومات من مصادر مُتعدِّدة، ومن ثَمَّ دراستها وتحليها للوصول إلى النتائج.

نبذة تاريخية عن مناهج البحث العلمي:

- تطورت مناهج البحث العلمي عبر التاريخ، ففي البداية كان الأمر لا يتعدى طرقًا بسيطة في مُجملها، ولم يكن هناك مُسلَّمات أو قواعد للتفكير المنظم وبشكل عقلاني، وتبارى الجميع في إثبات مدى جودة طريقة عن أخرى، وبمرور الوقت وفي مراحل لاحق، حدث الاتفاق والتصنيف فيما يخص المناهج العلمية.
- يُرجع البعض بداية التأصيل لمناهج البحث العلمي إلى دولة اليونان القديمة؛ حيث نجد أن أبرز المفكرين الذين أرسوا طرق ومناهج البحث العلمي كل من "ديموقراطيس" و"أرسطو" و"أفلاطون"، و"ليوكيوس"، ولم تكن الهند والصين القديمة بعيدة عن ذلك؛ حيث نجد للأفكار المتعلقة بالمدارس البوذية أثرًا واضحًا في وضع أطر للتفكير الفلسفي المتعمق مع استبعاد الإطار التجريبي، ومنح الفرصة للطبيعية لتقول كلمتها وتمنحنا الحقائق، وما علينا إلا الملاحظة، والتفسير.
- وعلى جانب آخر نادى العالم الفرنسي "رينيه ديكارت" خلال الفترة بين 1596-1650م، بأهمية تبني الاستقراء والعقلانية في التفكير، وبعيدًا عن اللا واقعية، وكان لذلك تأثير واضح في تبني بعض العلماء لذلك الفكر، ومن أبرزهم "إسحاق نيوتن"، الذي أثرى المعارف الفيزيائية بكثير من النظريات.
- إن لعنصر الزمن وما نلاحظه من تطورات أثرًا واضحًا في ظهور أنماط ومتغيرات في مناهج البحث العلمي، فالمناهج بنائية في مكنونها، بمعنى خضوعها للتحديث المستمر، وإجراء التحسينات عليها.

تعريف مناهج البحث العلمي وفقًا لأقوال مختلفة:

- يُمكن تعريف مناهج البحث العلمي على أنها المسالك والطرق المُنظمة، التي تُسهم في إعداد وتنفيذ الأبحاث والرسائل العلمية؛ كي تحقق الهدف والغاية منها.
- يُمكن تعريف مناهج البحث العلمي على أنها الأساليب العلمية الصحيحة، التي يتبعها الباحثون؛ من أجل الكشف والتقصي والتعمق والتحليل؛ لإجلاء الالتباس والتشكك والغموض الذي يحيط بظاهرة معينة، وفي النهاية التوصل للنتائج المُدعمة بالقرائن والبراهين.
- يُمكن تعريف مناهج البحث العلمي على أنها طرق للتفكير بشكل منطقي، وترتيب منظم للمُجريات المتعلقة بالتحقق من أمر ما ذي أهمية بالنسبة لبني البشر، والعمل على تفصيله بجميع أبعاده وصولًا لمعلومات واضحة تستخدم في وضع نظريات علمية، أو لحل إشكاليات اجتماعية.
- يُمكن تعريف مناهج البحث العلمي على أنها أسلوب يسهم في فهم مشكلة أو موضوع بأسلوب منضبط، ومصطلح على ذلك من جانب كبار الخبراء والأعلام في البحث العلمي.
- يُمكن تعريف مناهج البحث العلمي على أنها جملة من الخطوات النظامية، والتي يمكن الاعتماد عليها لدراسة إحدى المعضلات العلمية، والتوصل لمعارف جديدة.

مكونات مصطلح منهج البحث العلمي:

مصطلح منهج البحث العلمي يحتوي على ثلاث كلمات أساسية، وهي: المنهج، والبحث، والعلمي.

- فبالنسبة لكلمة "منهج": فهي تعني السلوك أو الطريقة، وهي كلمة مُشتقَّة من الفعل: نَهَجَ، وهو بمعنى سَلَكَ، أو طَرَقَ، أو اتَّبَعَ.

- وكلمة "البحث": فهي تعني التقصِّي أو الطلب، وهي كلمة مُشتقَّة من الفعل: بَحَثَ، بمعني تقصَّى، وطَلَبَ، أو تتبَّعَ، أو فتَّشَ، أو سَأَلَ، أو تمرَّسَ، واكتشفَ، أو حاوَلَ.

- وأخيرًا كلمة "العلمي": وهي كلمة تُنسب إلى العلم، وهي تعني إدراك الحقائق والمعرفة والإحاطة والدراسة.

أهمية مناهج البحث العلمي:

أهمية مناهج البحث العلمي تتمثل في اتخاذ الباحث لإطار عام؛ يستطيع أن ينفذ من خلاله، ويصل إلى ما يرغب من أهداف، وعلى النقيض من ذلك في حالة عدم سير الباحث على منهج أو عدة مناهج؛ فسيدخلنا ذلك في دائرة العشوائي، وسيكون الطريق شاقًا، ومشوبًا بالأخطاء، ومن ثم الخروج عن المنطق، وظهور البحث العلمية مُفككًا، وبعيدًا عن المعالجة الدقيقة.

أنواع مناهج البحث العلمي الشهيرة:

لمناهج البحث العلمي كثير من الأنواع، وسنُلقي الضوء على أشهرها فيما يلي:

- المنهج الوصفي: يرتبط المنهج الوصفي بالظواهر التي يراها الباحث في الطبيعة، بشرط أن تكون مكررة الحدوث، وليست مجرد أحداث عابرة، ويأتي ذلك المنهج كأبرز مناهج البحث العلمي، وعلى الرغم من التنوع في استخدام المناهج العلمية بالأبحاث، غير أن المنهج الوصفي يأتي دائمًا كمنهج مفضل، سواء في الأبحاث الاجتماعية أو الطبيعية، وتتمثل إجراءات المنهج الوصفي في تحديد المشكلة، ثم طرح أسئلة أو صياغة فروض، وبعد ذلك السعي لجميع معلومات عنها ومن أكثر من مصدر، وفي مرحلة تالية قيام الباحث بوضع عديد من النتائج.
- المنهج التجريبي: يمنح المنهج التجريبي كواحد من مناهج البحث العلمي المهمة فرصة للتجريب، وفقًا لحدود ومعطيات معينة، ويبدأ الفكر التجريبي بملاحظة ومشاهدة وتدوين للمعلومات التي يستشفها الباحث وبكل دقة، وبعد ذلك القيام بالتجريب في ضوء مجموعة من العوامل التي يحددها الباحث، وينتهي ذلك بالاستنتاجات، مع إمكانية التعميم على الجزئيات.
- المنهج التاريخي: يأتي المنهج التاريخي بين أهم أنواع مناهج البحث العلمي، وعن طريق يمكن الحصول على سجل الأحداث الماضية فيما يخص الموضوع أو الظاهرة محل الدراسة، من خلال الكتب أو المؤلفات، فهي وسيلة مثالية؛ لفهم الواقع بالاستعانة بالتاريخ، واستنباط آراء وتوقعات للمستقبل، ويسهم ذلك بوجه خاص في علاج بعض المشاكل القومية والمجتمعية؛ مثل: مشكلة انفجار السكان، وارتفاع معدلات الطلاق، وتتناقص الدخل القومي.... إلخ.
- مناهج علمية أخرى: بخلاف ما سبق ذكره يوجد أنماط أخرى لمناهج البحث العلمي مثل: المنهج الاستقرائي، والمنهج المقارن، والمنهج التحليلي، والمنهج الفلسفي، ومنهج الحالة الواحدة، والمنهج الشرعي.

أدوات البحث العلمي:

يمكن تعريف مصطلح أدوات البحث العلمي بأنها: "مجموعة من الطرق التي يستخدمها الباحثون أو الدارسون عند قيامهم بجمع البيانات في مشكلة أو قضية ما"، وتتنوَّع تلك الأساليب وفقًا لنوعية البحث المُقدَّم من الباحث، وقد يتمُّ استخدام أداة أو أكثر عند إجراء البحث، ومن أبرز أدوات البحث العلمي ما يلي:

المُلاحظة العينية: ويتم ذلك من خلال مُراقبة أفراد عيِّنة البحث وتتبُّع السلوكيات الخاصة بهم، مع التطرُّق لجميع العناصر دون إهمال لعنصر، وبعد ذلك يتم تحليلها من أجل الحصول على النتائج التي يهدف الباحث إلى الوصول إليها.

الاستبيانات: وهي إحدى أبرز أدوات البحث العلمي، وتستند إلى القيام بتوزيع نمط معين من الاستبيان على العيِّنة الخاصة بالبحث، من خلال وضع بعض الأسئلة البسيطة والواضحة، التي تكشف عن توجُّهات أفراد العيِّنة.

الاختبارات القياسية: وهي أداة دقيقة من أدوات البحث العلمي، ويقوم الباحث بتلك الاختبارات من أجل تحديد وقياس المستوى العلمي لمُجتمع الدراسة، ومن أمثلة ذلك اختبارات الذكاء لمرحلة سِنِّية مُعيَّنة، وتُعطي تلك الاختبارات انطباعًا مُعيَّنًا ودقيقًا عن العيِّنة.

المُقابلات الشخصية: ومن خلال ذلك يقوم الباحث بإجراء لقاءات مُباشرة مع عيِّنة البحث، ويتم طرح بعض الأسئلة المتعلقة بالدراسة، ومن ثَمَّ جمع الإجابات والعمل على تحليلها، لاستكمال مراحل منهج البحث العلمي الناجح.